# اتجاهات الكتابة اللسانية العربية الحديثة

**نسيمة قطاف**

**قسم اللغة العربية وآدابها**

**جامعة باجي مختار – عنابة**

**ملخص**

*يختلف مسار اللسانيات الحديثة في الغرب عن مسارها عند العرب؛ ففي الغرب جاءت نتيجة حراك فكري متكامل في العقل الغربي، أسفر عن منظومة لسانية محددة المعالم، واضحة الأطروحات والمفاهيم. أما في الثقافة العربية، فالأمر مختلف تماما، كونها في موضع المتلّقي للمعرفة اللسانية وليس منتجا لها. ومن جهة أخرى، فإن تشابك السياق المعرفي العربي لاختلاط المعرفي فيه بالمقدّس، أسفر عن مواقف مختلفة من تلقي اللسانيات الغربية الحديثة، كان لها أثرها في مسار البحث اللساني العربي، وعلى نوعية الكتابات اللسانية العربية وأصنافها.*

***الكلمات المفاتيح: مسار، لسانيات غربية، تلق، كتابة لسانية عربية.***

## *Les tendances de l'écrit linguistique arabe moderne*

***Résumé***

*Le parcours de la linguistique moderne en occident est différent de celui qui s'est développé chez les Arabes. En occident, la linguistique est née suite à un mouvement intellectuel, qui s'est soldé par une structure avec des contours définis, des postulats et des concepts clairs. Tandis que dans la culture arabe, le problème est différent, puisqu'elle est dans une position de réception de la connaissance linguistique et non productrice de cette connaissance. D'un autre côté, la complexité du contexte des connaissances arabes dans lequel on remarque l'amalgame entre le sacré et le scientifique, a conduit à une multitude de prise de positions envers la linguistique occidentale moderne, qui ont eu leur influence sur le parcours de la recherche linguistique arabe, et sur la qualité et les types de l'écrit linguistique.*

***Mots-clés: Parcours, linguistique occidentale, réception, écrit linguistique arabe.***

## *Trends in modern Arabic linguistics writing*

***Abstract***

*The course of modern linguistics in the West is different from that developed in the Arab world; it was born in the West as a result of an intellectual movement in the Western mind, which has resulted in a linguistic structure with defined contour, assumptions and clear concepts. While in the Arab culture, the problem is different, since it is in a position of receipt of linguistic knowledge and not producing knowledge. On the other hand, the complexity of the Arabic context of knowledge in which is joined the sacred and the science has led to a multitude of positions taken against modern Western linguistics, which had their influence on the course Arabic linguistic research, and the quality and types of Arabic linguistics production.*

***Key words: Course, western linguistics, reception, Arabic linguistics writing.***

**مقدمـة**

يختلف مسار اللسانيات الحديثة في الغرب عن مسارها عند العرب، ففي الغرب جاءت نتيجة حراك فكري متكامل في العقل الغربي، في سياقات فكرية ومعرفية وفلسفية معينة، أسفرت عن منظومة فكرية محددة المعالم وواضحة الأطروحات والمفاهيم، حتى إن توالي الأنظار اللسانية الذي يصل إلى حد التضاد، كما هو الحال بين النظرية البنيوية والنظرية التوليدية التحويلية، إنما جاء إثر انتقال منهجي من نظرية إلى أخرى، قائم على دحض وتفنيد أسس النظرية السابقة. بينما في الثقافة العربية فالأمر مختلف تماما، ذلك أن اللسانيات عندما انتقلت إلى الفكر العربي، وهو سياق أو نسيج معرفي مغاير عوملت على أنها دخيلة، بالنظر إلى حيثيات نشأتها في الغرب، لأنها ببساطة تخص جانبا أكثر التصاقا بهوية الإنسان ألا وهو اللغة. لتزداد الصعوبة عندما تكون اللغة لصيقة بالدين، فتصبح أمام سياق أو نسيج معرفي متشابك ومعقد لاختلاط المعرفي فيه بالمقدس. ومن جهة أخرى، نعلم أن اللسانيات في الثقافة العربية تمّ استيرادها بشكل عشوائي، دونما اتباع استراتيجية منظمة ومحددة، ويتضح ذلك عبر المسلك الذي دخلت به الفكر العربي؛ فالرواد الأوائل الذين ذهبوا إلى الجامعات الأوروبية لتلقي هذا العلم كان هدفهم، كما تبرزه صور نشاطهم اللساني، استيعاب اللسانيات الحديثة وهضمها ثم إعادة صياغتها، وإنتاجها في مصنفات عديدة ومتنوعة بتنوع المنطلقات والأهداف.

**تصنيف الكتابة اللسانية العربية:**

تنوعت تصنيفات اللسانيين العرب للبحث اللساني العربي بتنوع المبادئ المعتمدة في عملية التصنيف، نجملها في ثلاثة مبادئ:

1- مبدأ الأصالة والمعاصرة، وتنطلق منه جل التصنيفات، التي أسفرت في مجملها عن ثلاثة أصناف:

أ – صنف تقليدي تراثي انشغل بالتراث.

ب – صنف حداثي انشغل باللسانيات الغربية الحديثة.

ج – صنف توفيقي انشغل بالتوفيق بين التراث اللغوي العربي وبين اللسانيات الغربية الحديثة[1].

2- مبدأ زمني:

واعتمد آخرون الزمن معيارا للتصنيف، وأسفر عن مرحلتين :

أ – المرحلة الأولى، تبدأ من مطلع الأربعينيات من القرن الماضي، وبالتحديد مع صدور كتاب "علم اللغة" لعلي عبد الواحد وافي، وتنتهي مع بدء عقد السبعينيات.

ب – المرحلة الثانية، تبدأ مع السنوات الأولى من سبعينيات القرن الماضي إلى يومنا هذا[2].

3- مبدأ تقني:

اعتمد الموضوع والمنهج والغاية معايير للتصنيف، وأسفر عن ثلاثة أصناف:

أ – الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية.

ب- الكتابة اللسانية التراثية أو لسانيات التراث.

جـ- الكتابة اللسانية المتخصصة أو اللسانيات العربية[3].

وبناء على ما تقدم يمكن أن نصنف الكتابة اللسانية العربية إلى صنفين من الكتابة:

الصنف الأول: تمثله الكتابات التي كانت تهدف إلى عرض اللسانيات الغربية على القارئ العربي ترجمة وتأليفا.

الصنف الثاني: تمثله الكتابات التي عنيت بتطبيق المناهج اللسانية الحديثة على اللغة العربية.

**أولا– عرض اللسانيات الغربية الحديثة على القارئ العربي:**

لقد تم عرض اللسانيات على القارئ العربي بطريقتين، هما:

**أ- الترجمة:**

إن المتفحص لأدبيات الكتابة اللسانية العربية يقف على غياب خطة استراتيجية مضبوطة[4] ومحكمة الأهداف تسير وفقها الترجمة لعرض أمثل للسانيات الغربية على القارئ العربي، ليس فقط على مستوى الكم، ولكن أيضا على مستوى الكيف.

أما على المستوى الأول، فلم يترجم إلى غاية 1979 إلا أحد عشر كتابا وتسع مقالات[5]، وهو رقم يعكس البطء الشديد للفعل الترجمي كما يعكس الفجوة السحيقة بين الكتب الصادرة باللغات الأجنبية والمترجمة إلى اللغة العربية.

أما على مستوى الكيف، فنسجل غياب أمّهات الكتب التي أسست للسانيات الغربية – في بدايات تلقينا لها[6] – وعلى رأسها كتاب "سوسير Ferdinand de Saussure" "محاضرات في الألسنية العامة" الذي تأخرت ترجمته إلى غاية 1985[7]، وكتاب "البنى التركيبية" لـ" تشومسكي Noam Chomsky" الصادر سنة 1957 الذي تأخرت ترجمته إلى غاية 1987، وكلاهما مثل ثورة في مجال اللسانيات.

وإذا كان هدف الرواد الأوائل عرض اللسانيات الغربية على القارئ العربي، فإننا نسجل غياب أهم الكتب التي تعرض اللسانيات مثل كتابات "جون ليونز"، و"نيومايز"، و"جورج مونان"، و"نيكولا رفيت" و"جون ديبوا" وغيرهم من أكابر الأكاديميين وعارضي اللسانيات في أوروبا وأمريكا[8].

أما في مرحلة الثمانينيات، فقد عرفت الترجمة انتعاشا ملحوظا على المستويين، حتى إن بعض الكتابات ترجمت في فترة قريبة نسبيا من تاريخ صدورها في بيئاتها العلمية، نحو كتاب "اللغة ومشكلات المعرفة" "لتشومسكي Noam Chomsky"، الصادر سنة 1988، ترجم من قبل المزيني سنة 1990، وكتاب "الغريزة اللغوية: كيف يبدع العقل اللغة لـ"ستيفن بنكر Steven pinker"، الصادر سنة 1994 وترجمه المزين سنة 2000، وكتاب "آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن" لـ "تشومسكي Noam Chomsky" الصادر سنة 2000 ترجمه المترجم نفسه سنة 2005.

ولكن تبقى الترجمة إلى العربية بطيئة وضئيلة رغم الأهمية القصوى التي تنضوي عليها في العالم العربي كونه متلقيا للمعرفة وليس منتجا لها[9]، ورغم إدراك اللسانيين العرب لأهميتها؛ فهي في نظرهم من أهم الأبواب التي بها يمكن – بل ينبغي– للباحثين العرب أن يسهموا في نشر اللسانيات العامة الحديثة، بربوعنا نشرا سليما بعيدا عما يكتنف الكثير من أعمال التنشيط اللساني الصادر بالعربية أصلا من خلل واضطراب[10]. ورغم كل ذلك، فإن ما ترجم لا يصل بأي حال من الأحوال إلى تحقيق الكفاية المعرفية وتجسير الهوة القائمة بين الغرب والعرب في هذا المجال، وحتى إذا قمنا "بمقارنة الحجم الهائل من الكتب الصادر باللغات الأجنبية في ميدان اللسانيات بما ترجم أو أنتج من اللغة العربية، لأدركنا هول الفجوة الموجودة وعظمة ذلك الفراغ الذي يجب سده بسرعة لعدم عقلانيته"[11]. ويبقى أن ما ترجم من أعمال يتم بشكل عشوائي ولا يتسلح برؤية استراتيجية محكمة الأهداف والخطط.

**ب- التأليف:**

تمثل الترجمة جسرا أساسيا لنقل المعارف والعلوم بين الشعوب، وقد ثبت عبر مختلف العصور أن خطى التطور تمضي من خلال حركات ترجمة كبرى[12]، تنقل للشعوب الناهضة خلاصة ما توصلت إليه الحركة الفكرية والعلمية والأدبية والفنية لدى الشعوب الأكثر تقدما. غير أن الأمور في العالم العربي في العصر الحديث سارت خلاف ذلك، فقد اعتمد اللسانيون العرب في عرضهم اللسانيات الغربية على القارئ العربي على التأليف أكثر من الترجمة، فإذا كان عدد الأعمال المترجمة إلى نهاية سبعينيات القرن الماضي قد بلغ اثنين وعشرين عملا (بين كتاب ومقال)، فإن عدد الأعمال المؤلفة، وفي المدة نفسها قد بلغ الاثنين وخمسين عملا. يعكس هذا العدد من المؤلفات المسار الذي دخلت به اللسانيات الغربية الوطن العربي، ويعكس طريقة الرواد في الأخذ منها، وهي استيعاب المنجز اللساني الغربي وهضمه وتمثله، ثم إعادة صياغته وإنتاجه عبر التأليف بالعربية، حتى إنهم لم يشيروا في مؤلفاتهم إلى أهم المصادر والمراجع التي استقوا منها المعلومات[13]. وبالتالي لم يتم نقل المعرفة الغربية، بل الذي تم هو صقل العقول العربية بمنجز المعرفة الغربية[14].

فالنقل هنا ليس نقلا نصيا كما هو الحال في الترجمة، إنما هو نقل خبرة اللساني العربي، باعتماد جملة من المؤلفات الغربية، التي يتم انتقاؤها بشكل عشوائي. غير أن هذا المسلك يحتوي على مزالق عدة أهمها:

1- أن النقل يرتبط برؤية الناقل، وبالتالي لم تقدم اللسانيات هنا تقديما محايدا، إنما بوصفها وجهة نظر المؤلف في هذا المنجز، شكلها بالخبرة التي اكتسبها من تلقيه لهذا المنجز في الغرب.

2- أن اللساني هنا يعتمد في مراجعه الغربية انتقائية عشوائية مشوبة بنوع من المغامرة لعدم استناده إلى أسس موضوعية، ومرهون بالصدفة أحيانا وبتزكية الآخرين أحيانا أخرى، دونما استقصاء لجوانب ما كتب في الموضوع من الغرب.

ولا شك أن الخطورة الأكبر هنا تتمثل في كون هذه المؤلفات أصبحت المرجع الأساس في البحث اللساني العربي، على ما فيها من قصور، وفي الواقع ليس للقارئ أو الباحث العربي" الخيار ما دام لم يطلع على النص الأصلي مترجما، فما عليه إلا أن ينقل ما جاء به المطلعون لأنهم ثقاة، وكذلك بالنسبة للمضمون، فالقارئ يثق في قدراتهم، كما أنه ليس له إلا أن يثق"[15]. مع ملاحظة أن الكتابة التمهيدية التي تعنى بعرض اللسانيات الغربية للقارئ العربي ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا، وهو مطلب ضروري وأمر مشروع على الصعيد المعرفي تقتضيه التطورات الحاصلة في النظرية اللسانية الغربية، التي تشعبت إلى مدارس عديدة، وهي مستمرة في التطور، ولكن من غير العادي أن يستمر اللسانيون العرب في نشر لسانيات النصف الأول من القرن العشرين مثلا، ليس لتجاوزها فحسب، ولكن لأن الرواد أنجزوا هذه المهمة (فلماذا ينشغل العربي دائما بإعادة ما تم إنجازه؟!) وهو ما يعكس افتقارا للرؤية الإستراتيجية في عرض هذا المنجز، كما يعكس العجز عن مواكبة التطورات الحاصلة في اللسانيات الغربية.

ومنذ بداية ثمانينيات القرن الماضي، شهد الفكر العربي انفتاحا نستطيع أن نقول عنه منظما، على المدارس اللسانية الغربية في أوربا وأمريكا، يعكسه تنوع الاتجاهات التي تصب فيها الكتابات اللسانية العربية والمتمثلة في: الاتجاه الوصفي والاتجاه التوليدي التحويلي والاتجاه الوظيفي (بأنموذجيه: أنموذج "أندري مارتني André Martinet" وأنموذج "سمون ديك S.G.Dik").

ولأن العالم العربي كان متلقيا للسانيات الغربية وليس منتجا لها، وبالنظر إلى ما يملكه من إرث لغوي زاخر ومتنوع، وعلى درجة كبيرة من الرقي، فإنه كان بحاجة إلى تفعيل المعرفتين، وتسويغ للمنجز اللساني الغربي في السياق العربي، وقد جرهم ذلك إلى نوع آخر من الكتابات، يمكن عده نمطا من أنماط التسويغ للمنجزين (الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات الغربية الحديثة) وتفعيلها في الساحة الفكرية العربية الحديثة. ويتمثل هذا النمط في نقد النحو العربي القديم، في إطار محاولة تسويغ المنجز اللساني الغربي في الوطن العربي، وإعادة قراءة التراث اللغوي العربي القديم في إطار تزكية اللسانيات الحديثة أو تزكية هذا الفكر وتسويغ لمشروعية وجوده بعد الانفتاح على اللسانيات الغربية.

**أ- نقد النحو العربي:**

يسعى هذا النوع من الكتابة اللسانية إلى البحث عن شرعية وجود اللسانيات الغربية في المنظومة الفكرية العربية الحديثة، حيث بدأت بتعرضها إلى عيوب النحو العربي والقصور المنهجي الذي شاب طريقة القدماء في التقعيد للغة العربية، وذلك بوصفها ضرورة ملحة أملاها الانفتاح على النظرية اللسانية الغربية الحديثة، بل يمكن عدّها مدخلا منهجيا للسانيات العربية الحديثة، يقول "عبد الرحمن أيوب"(*) في كتابه دراسات نقدية في النحو العربي: "على أني أشعر من ناحية أخرى أن هذه المحاولة تمهيد ضروري لثورة عقلية لا بد من نضوجها قبل أن ينفتح ذهن الجيل الجديد إلى البحث اللغوي الموضوعي"[16]. وكتابه هذا (دراسات نقدية في النحو العربي) دعوة إلى المنهج الوصفي القائم على الموضوعية والعلمية وطرح للدرس النحوي القديم – الذي وصفه بالتقليدي- حتى عد العمل به نوعا من أنواع "الاجترار العقلي لا يليق بعصرنا الذي نعيش فيه، ولا بنهضتنا العقلية في هذا الدور الحاسم من أدوار الثقافة"[17].

وكذلك صدر "تمام حسان" في تقديمه للمنهج الوصفي من نقد النحو العربي القديم واصفا إياه بالمعيارية(*)، حيث يقول "فطنت إلى أن أساس الشكوى هو تغلب المعيارية في منهج حقه أن يعتمد الوصف أولا وآخرا، وأن هذه المعيارية تتضح في طريقة التناول، كما تتضح في طريقة التعبير في جمهرة كتب النحو والصرف والبلاغة لا نكاد نستثني منها إلا قلة..."[18]. وقد اعتمد اللسانيات الغربية مرجعا في نقده هذا، يقول "لقد فكرت في أمر الدراسات العربية القديمة من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئا بمناهج الدراسات اللغوية الحديثة"[19]. بينما يذهب "ريمون طحان" إلى أن فائدة كتب اللغة العربية التقليدية محدودة لأن «آراء الفلاسفة وعلماء الكلام والمنطق تشوبها، ولأنه مضى على وصفها زمن طويل أحل فيها السقم والعقم. فتقدم العلوم عامة والعلوم الألسنية خاصة أتاح للباحثين فرصة إتباع طرق علمية جديدة لوضع الكتب والمؤلفات القيمة ومن أهم هذه الظروف في عصرنا الحاضر البنيانية»[20]، ومن ثم يدعو "ريمون طحان" إلى تبني المنهج الوصفي الذي أحرز على حد تعبيره، نتائج ملموسة في العلوم اللسانية، ويقدمه بديلا عن النحو العربي بقوله: «... وقد آن للدراسات اللغوية أن تعتمد البنيانية كعنصر تجديد سيكتب له البقاء والنجاح المستمر»[21]. أما "أنيس فريحة" فيرى أن النحو العربي نشأ متأثرا بالفلسفة اليونانية حتى وإن لم يكن هذا التأثر بشكل مباشر، ومن مظاهره بناء النحو بكامله على فكرة العلية المؤسسة لنظرية العامل. ويذهب إلى أن هذه النظرية مرجعها إلى كون اللغة مبنية بناء محكما، فعلى اللغوي الكشف عن قوانين هذا البناء، فيقول: «أما منطق أصحاب المنهج الفلسفي فهو أن اللغة منطقية قياسية مطردة تخضع لقوانين المنطق الصارم، إذن فليس بالعسير علينا أن نتوصل إلى

معرفة الأسباب والعلل وهذا هو رأي أرسطو في اللغة اليونانية وهو رأي خاطئ»[22]، وينتقد هذه الفكرة استنادا إلى المنهج الوصفي إذ يرى أن اللغة بعيدة عن المنطق الصارم لذلك فعمل اللساني هو «تقرير واقع لا تعليل لنشأة هذا الواقع وتفسير للأسباب التي أدت إليه»[23]. بهذا يكون المنهج الوصفي هو السبيل الأمثل للنهوض بالدراسات اللغوية، مع ملاحظة أن الوصفيين العرب في نقدهم للنحو العربي تبنوا الطروحات الغربية؛ والتي مفادها أن دراسة اللغة على أساس "المنهج الوصفي" يفرض بالضرورة تجاوز مبادئ "النحو التقليدي" وإزالة بعض التقاليد التي رسخها في التقاليد اللغوية بسبب منطلقاته المنطقية والفلسفية كما تتمثل في أعمال اليونان والرومان[24].

وبناء على ذلك عدّ بعض الدارسين أن هذا النقد مظهر من مظاهر التأثر بالنقد الذي قدمه اللسانيون الغربيون للنحو التقليدي في أوربا؛ فحين انتقل المنهج الوصفي إلى الدرس اللغوي العربي"بدأت هذه الانتقادات التي أخذها الوصفيون على النحو التقليدي(*) تظهر في معظم المؤلفات الحديثة التي تعرض للنحو العربي"[25].

لقد ارتبط وجود هذا الصنف بالانفتاح على اللسانيات الغربية حتى أصبح سمة مميزة للكتابات اللسانية العربية في هذه المرحلة؛ إذ قلما نجد كتابا أو دراسة تدعو إلى الوصفية تخلو من توجيه انتقادات للنحو العربي، مما خلق انطباعا قويا بتلازم الدعوة إلى الوصفية، ونقد النحو العربي. وأن هذه الدعوة تمر حتما عبر نقد النحو.

**ب- إعادة قراءة التراث اللغوي في ضوء اللسانيات الحديثة:**

وهذا النوع من الكتابة وجهه – في بداية تلقينا لهذا العلم – مطلب التسويغ للمنجز اللساني الغربي في السياق العربي. وقد اقتضى ذلك ربط الوافد الجديد (اللسانيات الغربية) بالقديم المستوعب (الدرس اللغوي القديم)، فكان البحث عن أصول عربية للنظريات اللسانية الغربية الحديثة لإثبات "السبق لعلماء العرب القدامى على اللسانيين المعاصرين في كل ما جاؤوا به، حتى أصبح الفكر اللساني المعاصر عنده من قبيل تحصيل الحاصل، أو قل هو حاشية محدثة على متن قديم"[26].

فقد ذهب "المسدي" إلى أن العرب "بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات، قد أفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب، بل قادهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم يهتد إليه إلا مؤخرا ، بفضل ازدهار علوم اللسان في مطلع القرن العشرين"[27].

ويعد كمال بشر من الأوائل الذين أشاروا إلى ذلك في كتابه "دراسات في علم اللغة" عندما خص القسم الأول من هذا الكتاب لـ "التفكير اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث". وقد بلور هذه الفكرة مجموعة من الدارسين أمثال "نهاد الموسى" في كتابه "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث" و"حسام البهنساوي" الذي خص هذا الموضوع بكتاب عنونه "أهمية الربط بين الفكر اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث" وفي كتاباته الأخرى نحو "التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث" و"التفكير الصوتي عند العلماء العرب في ضوء الدرس الصوتي الحديث" و"علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة" و"عبده الراجحي" في كتابه "النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج"، وغيرها من الدراسات التي شكلت اتجاها قائما على استئناف النظر في أعمال القدماء على ضوء مناهج الدرس اللغوي الحديث. وأصبح الربط ضرورة ملحة خاصة بعد الانفتاح على الدراسات الغربية التي اهتمت بربط الفكر اللغوي القديم باللسانيات الحديثة[28]، وعلى رأسها كتاب "Cartesian Linguistics" لـ"تشومسكي Chomsky Noam" الذي يشكل "مثالا حيا على اهتمام العلماء اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي من أجل إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهملة

وبين المفاهيم اللغوية الحديثة"[29]. وفي الواقع أن كتاب "تشومسكي Chomsky" هذا لا يمكن موضعته في إطار الكتابات التي تسعى إلى ربط التراث اللغوي القديم باللسانيات الحديثة (من وجهة نظر اللساني العربي) القائمة على البحث عن نقاط تقارب بين الفكرين بحثا عن فضل السبق، إنما سعيه كان مراجعة هذا التراث وإزالة الغبار عن فلسفة ديكارت العقلية، والتي أبعدت عن البحث العلمي ردحا من الزمن. وقد عمل على تمثل عناصرها البنائية وتساؤلاتها الجوهرية، ولم يأخذ بأحكامها ولا بنتائجها بل أسس معمارا معرفيا جديدا بالاستفادة من اللبنات القديمة"[30]. فكان عمله إشهارا لبعض المقولات الديكارتية وإعادة توظيفها في بناء نسق جديد.

إن المقولات التراثية لها في ذاتها ما يؤسس شرعيتها في ظروفها التاريخية وملابساتها الفكرية وكما أن للمقولات اللسانية الحديثة لها ما يؤسس شرعيتها في ظروفها التاريخية وملابساتها الفكرية. ومن جانب آخر، فإن التفكير اللغوي القديم "ليس إبداعا فنيا يستدعي إعادة القراءة والتأويل، إنه خطاب علمي محدد الدلالات والمرامي، لذلك فهو بحاجة إلى أن يفهم في إطار بنيته الداخلية، حتى يكشف عن مضامينه ليستفاد منه في فئتين:

– التأريخ الصحيح للمعرفة، على اعتبار أنه يمثل جزءا من المنظومة المعرفية التي تملكها البشرية.

– الاستفادة من بعض مقولاته، وتوظيفها على أنها لبنات في بناء صرح لمعرفة جديدة"[31].

وقد اتخذت قراءة التراث اللغوي بعدا آخر عند ثلة من اللسانيين العرب، عندما تحولت إلى مشروع نظرية عربية قادرة على تفسير المعطيات اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، ونستحضر في هذا المقام النظرية الخليلية الحديثة التي عدت نظرية ثانية (Métathéorie)[32]؛ لأنها في الوقت نفسه تنظير وبحث في الأسس النظرية الخليلية الأولى وقراءة جديدة لهذا التراث ولإعادة صياغة لمفاهيمه الأساسية ومقارنتها بما توصل إليه البحث اللساني الحديث، ومحاولة استثمار ذلك في الدراسات اللغوية العربية[33]. وقد استلهمت أعمال الرعيل الأول من النحاة الذين عاشوا في صدر الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، والتي شكلت التراث العلمي العربي الأصيل، الذي انبنت عليه النظرية اللغوية العربية؛ إذ تمكن هؤلاء النحاة من "ضبط أنجع الطرق التحليلية لوصف المحتوى اللغوي لهذه المدونة ثم استنباط القوانين النحوية الصرفية البلاغية منها مع تعليل منطقي عجيب لكل ما شذ عن هذه القوانين، ثم صياغة رياضية لمجموع هذه الأصواف والتعليلات مما لا يقل قيمة عما هو موجود الآن في ميدان العلوم الإنسانية"[34] وطرحت أعمال أغلبية النحاة المقلدين الذين جاؤوا بعد هذه الفترة، والتي جاءت في شكل منظومات وشروح وحواشٍ ...إلخ.

تتميز هذه النظرية عن بقية المشاريع النظرية العربية بمنهجها القائم على الامتناع عن إسقاط مفاهيم المتأخرين من النحاة أو اللسانيين من المحدثين على أقوال الخليل وسيبويه، واعتماد طريقة دقيقة لاستنباط معاني النصوص؛ أي ما يقصده "الخليل" و"سيبويه" بالفعل. وما يعزز نجاح هذه النظرية محاولة استثمارها في تعليم اللغة العربية، وفي مجال هندسة اللغة، حيث يعكف فريق من الباحثين في هذا التخصص لاختبار هذه النظرية في المعالجة الآلية للنصوص[35].

**ثانيا– الكتابة التطبيقية:**

ويمكن نعت هذا النوع من الكتابات بالكتابة اللسانية العربية المتخصصة التي لامست الموضوع الحقيقي للسانيات وهو اللغة. وقد عرف هذا النوع من الكتابة تطورا نوعيا خاصة بعد الانفتاح على مختلف الأنظار اللسانية على اختلاف انتماءاتها المدرسية (أمريكية وأوربية)، واستثمار اللسانيات في ميادين أخرى نحو الميدان

الأدبي وعلم أمراض الكلام والحوسبة وتعليمية اللغة... مما حفز على تطبيق النماذج اللسانية على اللغة العربية، وأصبح البحث عن توصيف جديد لبنية اللغة العربية هاجس كبار اللسانيين العرب. وكان لهذا آثاره الإيجابية على مستوى البحث اللساني الذي بلغ في بعض الكتابات مستوى عاليا من النضج على غرار الكتابة التوليدية التي تمكنت "من تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة ومعجما"[36]. وكذلك الكتابة الوظيفية المتميزة "بصرامة البحث العلمي وشروطه النظرية والمنهجية المتمثلة في تحديد الموضوع وتوضيح الإطار النظري والدقة في التحليل والصورية في صياغة القواعد"[37] وأيضا "بالمتابعة الدقيقة لتطورات نظرية النحو الوظيفي الذي وضعه سيمون ديك"[38]. بهذه الكيفية لم يتمكن رائد النحو الوظيفي أحمد المتوكل من عرض النظرية وتطبيقها على اللغة العربية فحسب، إنما تمكن أيضا من إغناء النحو الوظيفي بصفة عامة كإضافته مثلا وظيفة خارجية ثالثة [39]، هي وظيفة المنادى باعتبارها واردة في كل اللغات[40].

ونصب هذه الكتابات في ثلاثة اتجاهات كبرى هي: الاتجاه الوصفي والاتجاه التوليدي التحويلي والاتجاه الوظيفي.

**1- الاتجاه الوصفي:**

ويعدّ من الاتجاهات الأولى التي شقت طريقها في الثقافة العربية الحديثة، وذلك بعد عودة المبعوثين المصريين من الجامعات الغربية، الذين عملوا على بث وعي لغوي جديد تمثل في الأفكار اللسانية الغربية الحديثة. وقد كان قصب السبق لـ"إبراهيم أنيس" الذي وضع بين يدي الباحثين مجموعة من المؤلفات والمقالات منها: (الأصوات اللغوية، في اللهجات العربية، ودلالة الألفاظ)، التي مهدت لبحث لساني عربي علمي ودقيق بعرضه لأوليات نظرية ومفاهيم منهجية جديدة ومغايرة لما كان سائدا في الدراسات اللغوية العربية (سواء قديما أو في عصر النهضة). فظهرت دراسات أكثر دقة وأكثر عمقا كونت مع نهاية السبعينيات اتجاها جديدا في الدراسات اللغوية العربية، وهو الاتجاه الوصفي. ويعود فضل تعميق هذه الجهود وبلورتها بصيغة علمية إلى عدد من اللسانيين العرب الذين وصفهم "حلمي خليل" "بجيل الوصفيين العرب"[41]، أمثال "عبد الرحمن أيوب" و"تمام حسن" و"كمال بشر" و"أحمد مختار عمر" و"محمود السعران" وغيرهم.

وقد اقتضى تطبيق هذا المنهج على اللغة العربية التعريف به وعرضه للقارئ العربي، ونقد النحو العربي القديم لتسويغ مشروعية وجوده في الثقافة العربية –كما ذكر سابقا – ومن ثم يمكن القول إن البدايات كانت "عبارة عن محاولات لنقل هذه المعرفة الجديدة إلى العالم العربي، أكثر منها انغماسا في البحث في البحث العلمي، وإسهاما في تطويره"[42]. وقد جمعت هذه المحاولات (الأولى) بين تقديم النظرية والتطبيق الجزئي على اللغة العربية[43]، ولم تبدأ المحاولات الهادفة إلى التطبيق الحقيقي لهذا النموذج على اللغة العربية إلا مع مطلع السبعينيات (من القرن الماضي).

وعموما، فقد كان تطبيق النموذج الوصفي في اللغة العربية تطبيقا جزئيا في أغلب الأحيان، يعنى بوصف مستوى معين من مستويات اللغة العربية[44]. وهناك بعض الدراسات النادرة التي عنيت بتطبيق هذا المنهج على مختلف المستويات اللغوية أهمها دراسة تمام حسان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" ودراسة "ريمون طحان" "الألسنية العربية ج 2"، الذي حاول هو الآخر تقديم تحليل بنوي للغة العربية في مستوياتها المختلفة. وعموما، فإن الكتابة العربية الوصفية لا تقدم "أي تحليل شامل لبنية اللغة العربية في مستوياتها المختلفة. فليس

بين أيدينا سوى أشتات ومتفرقات من التحليل التي لا تتعدى دراسة بعض الجوانب المتعلقة ببعض القضايا الجزئية صوتا وصرفا وتركيبا ومعجما ودلالة" [45].

**2- الاتجاه التوليدي:**

ركزت الأبحاث التي تناولت الإرهاصات الأولى للاتجاه التوليدي التحويلي في الثقافة العربية على جعل فترة السبعينيات [46] بصفتها بداية حقيقية لاطلاع العرب على هذا المنهج. ورغم ظهور النظرية التوليدية التحويلية في فترة متزامنة مع انفتاح الفكر العربي الحديث على اللسانيات الغربية الحديثة، إلا أننا نلحظ تأخرا نسبيا في الانفتاح على هذه النظرية، التي أحدثت نقلة نوعية " قلبت اللغويات رأسا على عقب، فلا يمكن لأي باحث في اللغة بغض النظر عن توجهاته أن يقوم بأي بحث لغوي كان دون الرجوع إلى أطروحات هذا الرجل المبدع"[47]. ويبدو أن سبب التأخر عائد إلى طغيان المنهج الوصفي على الدراسات اللغوية العربية، فأغلب المشتغلين باللسانيات في هذه المرحلة ينتمون إلى توجه مدرسي واحد تقوده مدرسة فيرث الإنجليزية، ولم يكن لهم أي اتصال بالمدرسة الأمريكية (التوليدية التحويلية)[48]، مما هيأ الأرضية لإرساء دعائم المنهج الوصفي دون غيره.

ويعدّ داود عبده من الأوائل الذين استلهموا مبادئ النظرية التوليدية التحويلية [49]، بإصدار كتاب "أبحاث في اللغة العربية" سنة 1973، ثم تلته مجموعة من الأعمال في هذا المجال، بلغت إلى غاية 1979 ست مقالات وكتابين اثنين [50]. وقد تزايد الاهتمام بهذا الاتجاه بدءا من ثمانينيات القرن الماضي، حيث بلغ عدد الكتابات التوليدية إلى غاية 2007 أربعة وستين عملا إضافة إلى عديد المقالات المنشورة في مختلف المجلات العلمية، وهو رقم يعكس، بالنظر إلى واقع البحث اللساني العربي، تطورا ملحوظا. ومما زاد في أهميتها عنايتها بالجانب التطبيقي، إذ " لم يخل بحث في التوليدية العربية من محاولة تطبيقية على اللغة العربية، على اعتبار أن التطبيق مثل جزءا من مشروع تعريب النظرية"[51]. وقد مثلت هذه الكتابات كل مستويات اللغة العربية [52] صوتا وصرفا وتركيبا ومعجما، باستثناء المستوى الدلالي" فلم يخصص بدراسة مستقلة، إذ لم يرد إلا في سياق الحديث عن السمات الدلالية الضابطة لسلامة بناء الجملة"[53].

واستطاعت الكتابات التطبيقية أن تقدّم جملة من الاقتراحات المتعلقة بطبيعة البنيات العربية في المستويات الصوتية والصرفية والتركيبة والمعجمية والدلالية، وجاءت هذه الكتابات " مضاهية شكلا ومضمونا لنظيراتها الغربية أمريكية وأوربية من عدة أوجه في مقدمتها تقيدها المطلق بشروط وقواعد البحث اللساني العربي"[54] على غرار كتابات الفاسي الفهري الذي حاول تلمس المنهج التوليدي وتطبيق آلياته التفسيرية في إعادة وصف منظومة اللغة العربية، خاصة في كتابه اللسانية واللغة العربية...

**3- الاتجاه الوظيفي:**

عرف هذا الاتجاه (بشقيه "الوظيفية" التي انتهت ريادتها بـ"أندري ماريتني André Martinet" والنحو الوظيفي بريادة "سيمون ديك S.G.Dik") رواجا كبيرا في المغرب العربي.

فقد أولى كثير من اللسانيين المغاربة، لاسيما في تونس، عناية خاصة لوظيفية "أندري مارتيني André Martinet"، نحو "الطيب البكوش"، و"الهادي الطرابلسي"، و"صالح القرمادي" و"عبد السلام المسدي"... الذين حاولوا تطبيقها على بعض المظاهر التركيبية في الجملة العربية، كما فعل كل من "المسدي" و"الهادي الطرابلسي" في كتاب: الشرط في القرآن الكريم، و"محمد الشاوش": ملاحظات بشأن تركيب الجملة.

أما نموذج النحو الوظيفي الذي رسم معالمه الهولندي "سيمون ديك S.G.Dik" فقد عرف رواجا كبيرا في المغرب الأقصى بريادة "أحمد المتوكل"، ويمكن القول إن اللسانيات العربية (في هذا النموذج) أحدثت طفرة في تقاليدها من حيث مواكبتها لهذا النموذج ليس فقط على مستوى تاريخ النشأة، ولكن أيضا على مستوى التطورات الحاصلة في هذا النموذج، منذ بدايته وصولا إلا آخر صوره المتمثلة في الخطاب الوظيفي[55].

ورغم تزاحم المساحة اللسانية الغربية، فترة نقل هذا النموذج، بمختلف النماذج اللسانية بنوية وتوليدية إضافة إلى النموذج التراثي والنموذج التوفيقي (لسانيات التراث)، إلا أنه استطاع أن يفرض وجوده على الساحة اللسانية الغربية والعربية، محققا الكفاية المعرفية، ومردّ ذلك الاستراتيجية التي تبناها "المتوكل"[56] في نقله لهذا النموذج سواء على مستوى العرض (ترجمةً وتأليفًا) أو على مستوى التطبيق. وإذا كان التراث يشكل عائقا في تطور البحث اللساني، لدى الكثير من اللسانيين، سواء الرافضين له أمثال الفهري أو الذين تبنوا هذا التراث والذين بقوا حبيسي البحث عن أصول نظرية اللسانيات الغربية في التراث العربي، فإن المتوكل ورغم تبنيه لمشروع التأصيل هذا إلا أنه تجاوزه وانتقل إلى مرحلة الإسهام في تطوير النموذج الوظيفي في العالم وإغنائه. ولا شك أن هذا الانتقال نابع من نظرته إلى التراث الذي يتخذ عنده أحد الأوضاع الثلاثة: إما أن يعدّ حقبة تاريخية لفكر وظيفي يشكل امتدادا للدراسة الحديثة، وإما أن يكون مرجعا للدرس اللساني الوظيفي الحديث الذي يحتج به عند الحاجة، وإما أن يكون مصدرا يمدنا بمجموعة من المفاهيم والآراء والتصورات[57]. وتبرز الوضعية الثالثة في كتابته.

ومما يحسب للوظيفة العربية أنها "لم تطل الوقوف عند مرحلة الدراسات التمهيدية، بل دخلت معترك التطبيق على العربية محاولة الكشف عن خصائصها وفقا لهذه المقاربة"[58]. وقد استطاع المؤلف أن يغني النموذج الوظيفي العربي بعديد الدراسات التطبيقية التي تناول فيها القضايا الأساسية في النحو الوظيفي، ومن إسهاماته تحديد وظائف تداولية للغة العربية[59]، ومفهوم القوة الإنجازية المرتبط بالعبارة (الجملة) إضافة إلى إخراجه نظرية النحو الوظيفي من حيز الجملة إلى حيز الخطاب، وقد أثمرت جهوده هذه بإغناء النموذج الوظيفي في العالم والمساهمة في تقديره كما ذكرنا سابقا.

**السمات المنهجية للكتابة اللسانية العربية:**

نجحت الكتابة اللسانية العربية، بنوعيها: العارضة للمعرفة اللسانية والمطبقة لها في التأسيس لثقافة لغوية جديدة تمثلت في اللسانيات الحديثة، وتمكنت من وضع اللبنات الأساسية لبحث لساني عربي مغاير للدراسات اللغوية القديمة. ويمكن أن نميز– من حيث الخصائص المنهجية– بين صنفين من الكتابة اللسانية سواء في العارضة منها أو المطبقة:

**1**– صنف أدرك أبعاد الممارسة اللسانية، فجاءت أعماله مبنية على أسس منهجية واضحة المعالم وبشروط الإطار النظري الذي يشتغل فيه، سواء على مستوى الاشتغال بالمعطيات أو تحديد الإطار النظري الذي يشتغل فيه. وأهم خصائصه المنهجية هي:

أ– وحدة الرؤية النظرية والمنهجية، حيث أدركت هذه الكتابات أن كل أنموذج عبارة عن نسق تصوري متماسك داخليا، يختلف في تصوراته ومفاهيمه ومقولاته الإجرائية عن بقية الأنساق، ومن ثمّ التزم هذا الصنف بالإطار النظري الذي يشتغل فيه، معلنا عنه في كتاباته[60].

ب– مواكبة ما استجدّ من تطورات حصلت في اللسانيات الحديثة سواء على مستوى العرض، بتقديم مستجدات هذه النماذج المتعلقة بالتصورات والمبادئ والمفاهيم أو على مستوى التطبيق باستثمار آخر التصورات المستحدثة في تفسير معطيات اللغة العربية(61).

جـ– العرض البسيط والممنهج. والبساطة هنا لا تعني السطحية إنما إجلاء الغموض وتيسير المعطيات الأساسية للسانيات بمفاهيمها وتصوراتها ومناهج التحليل هنا عن طريق الشرح والتوضيح بأمثلة متنوعة من العربية الفصحى والعامية والخطاطات والبيانات كلما اقتضى الأمر ذلك ، وهو أسلوب الكتابات العارضة للمعرفة اللسانية كما في كتابات "تمام حسان" و"محمود السعران" و"ميشال زكريا" و"مازن الوعر" وغيرهم...

د– تجاوز بعض الكتابات المطبقة التطبيق الحرفي لتصورات الأنموذج الذي تشتغل فيه إلى اختبار قدرتها على تفسير معطيات اللغة العربية ونقد التصورات غير القادرة على ذلك وتعديلها، ونلمس ذلك بوضوح في كتابات الفهري الذي انتقد بعض تصورات النظرية التوليدية التحويلية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر الترتيب الأصلي للجملة الذي اقترحه "تشومسكي Chomsky" والمبني للمعلوم والمبني للمجهول وقيد الاتساق والعناصر الفارغة وغيرها(62).

هـ– الدراسة الشاملة والمتكاملة للغة العربية في مختلف مستوياتها نحو الدراسة التي قدمها تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها مبناهما، وكتابات المتوكل التي قدمت دراسة شاملة للغة العربية صرفا وتركيبا ودلالة وتداولا. وكان من نتائج ذلك أن قدم الأول نظرية تضافر القرائن، واستطاع الثاني أن يخرج النحو الوظيفي من حيز الجملة إلى حيز الخطاب، بعد أن توصل في دراسته الشاملة أن كمّا غير يسير من القضايا الجملية المركزية لا يمكن تفسيرها في حيز الجملة، ولا يمكن تناولها التناول الكافي إلا إذا تمت مقاربتها في إطار خطاب متكامل.

و– فصلها بين التراث اللغوي واللسانيات الحديثة مكّن بعض الكتابات من تقديم اللسانيات علما مستقلا واضحا الحدود والأبعاد، سواء على المستوى النظري كما في كتابات الرواد "محمود السعران" و"تمام حسان" و"مشال زكريا"، أو على مستوى التطبيق كما في كتابات "الفاسي الفهري".

**2**– صنف لم يدرك أبعاد الممارسة اللسانية، وأبرز سماته:

أ– عدم تمثل بعض الكتابات اللسانيات تمثلا واضحا بوصفه علما له موضوع محدد ومجالات محددة ويظهر في:

/ استمرار بعض اللسانيين في معالجة قضايا تعود إلى لسانيات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، كالصراع اللغوي ونشأة اللغة والفصائل اللغوية خاصة في بعض الكتابات الوصفية. ولا يمكن أن يبرر ذلك بحداثة عهدهم باللسانيات، فجلّ هذه الكتابات أعيد طبعها بعد أن اتسع أفق اللسانيات العربية بانفتاحها على مختلف المدارس اللسانية، دون أن يكلف أصحابها أنفسهم عناء تنقيحها وتعديلها وحذف ما لا يندرج تحت اللسانيات(63).

/ الابتعاد عن الموضوع الحقيقي للسانيات وهو اللغة، وهو ما نجده في الكتابات التي عنيت بقراءة التراث أو إعادة قراءته أو ما يعرف في الأدبيات اللسانية بلسانيات التراث التي اتجهت نحو آراء النحاة وتصوراتهم لا إلى نحو اللغة بوصفها بنية متعددة المستويات.

ب– السطحية في عرض المفاهيم وعرض مبادئ التحليل اللساني وإشارتها إليها بشكل مقتضب؛ يفتقر إلى شرح المفاهيم بشكل مفصل ودقيق. وهي مفاهيم يتأسس عليها التحليل اللساني للغة العربية، ويظهر ذلك بصفة خاصة

في الكتابات الوصفية التي تستعمل مفاهيم مثل "المتن"، و"البنية"، و"العلاقة" و"المكونات المباشرة" و"الاستبدال"[64] وغيرها دون، تحديد مفهومها بشكل دقيق وإطارها النظري الذي تشتغل فيه بدقة.

جـ– الإسقاط ، ويظهر في:

– الكتابات التي عنيت بنقد النحو العربي، حيث استنسخت النقود الغربية الموجهة للنحو الأوربي التقليدي وسحبتها على النحو العربي دون مراعاة للفوارق المعرفية بين المنظومتين، ومن ثمّ حكموا على النحو العربي بالمعيارية[65] وبتأثره بالفلسفة والمنطق الأرسطي، ويظهر ذلك حسب رأيهم في القسمة الثلاثية للكلام العربي التي تحاكي ما درج عليه الفلاسفة اليونان، وأيضا التعليلات ونظرية العامل[66].

– الكتابات التي عنيت بقراءة التراث أو لسانيات التراث والتي غالبا ما تسقط مفاهيم وتصورات لسانية حديثة متعلقة بإطار نظري معين على الدرس اللغوي القديم مع أنهما يختلفان علميا ومعرفيا.

د– المزج بين المناهج في دراسة ظواهر اللغة العربية، فقد تلجأ بعض الكتابات إلى تفسير الظاهرة الواحدة بأكثر من أنموذج، على غرار كتاب "مدخل إلى دراسة الجملة العربية" لـ"أحمد محمد نخلة"، الذي مزج فيه بين مناهج متعددة تتراوح بين التقليدية والحديثة لدراسة أنواع الجملة العربية، كما صرح هو نفسه بذلك [67]. وجمع تمام حسن في كتابة اللغة العربية معناها ومبناها بين الوظيفية (نظرية المعنى لـ"فيرث Firth") والشكلية (نظرية التوزيعية لـ"هاريس Harris")... والحال أن كل أنموذج عبارة عن نسق تصوري متماسك داخليا، وكل مفهوم أو تصور إنما يكتسب قيمته داخل هذا الأنموذج، أما إذا خرج عن أفكاره وأدرج في نسق آخر فإنه لا يعمل بالكيفية نفسها ولا تكون له الفاعلية نفسها أيضا.

هـ– الانتقائية والاجتزاء وهو ما ينطبق على بعض الكتابات في لسانيات التراث التي تبحث عن مظاهر التلاؤم والانسجام والتماثل بين التصورات اللسانية الحديثة والآراء والتصورات النحوية القديمة، ومن ثم تنتقي ما يسوّغ آراءها ويدعم وجهة نظرها. فهي لا تنظر إلى التراث في شموليته، بل تعمد إلى اقتطاع النصوص ونزعها من سياقاتها التاريخية لتبرير وجهة نظرها وتوسيع آرائها دون مراعاة الخلفية العلمية المعرفية للمنظومتين.

**خاتمة**

بعد هذه المحاولة التي قمنا فيها بتصنيف الكتابة اللسانية العربية، في مرحلتها التمهيدية خاصة، يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

– رغم افتقار الكتابة اللسانية العربية – في بدايات نشأتها – إلى رؤية استراتيجية محكمة الأهداف والخطط، فقد نجحت في توجيه الفكر العربي الحديث نحو الأنظار اللسانية الغربية، وهو ليس بالأمر الهين، في ظل امتلاك هذا الفكر لأنموذج نحوي لم تنجح مختلف النماذج اللسانية العربية، إلى اليوم، في زحزحته أو تقديم بديل عنه.

– لقد كان للكتابة اللسانية الوصفية العربية فضل السبق في التأسيس لبحث لساني عربي حديث، غير أن صدورها من نقد النحو العربي القديم جعل منها منهجا نقديا يتخذ من الدراسات اللغوية التقليدية موضوعا لها، مما أبعدها عن هدفها الرئيس المتمثل في إعادة توصيف اللغة العربية لأجل بناء أنموذج جديد للغة العربية يكون بديلا للأنموذج النحوي القديم.

– وشكلت الكتابة اللسانية التوليدية التحويلية والوظيفية (أنموذج النحو الوظيفي) قفزة نوعية، سواء على مستوى مواكبة التطورات الحاصلة في هذه النماذج (خاصة الأنموذج الوظيفي) أو على مستوى وصف الظاهرة اللغوية وتفسيرها وتقيدها الكبير بشروط البحث اللساني وقواعده، مما جعلها مضاهية للكتابة اللسانية الأوروبية والأمريكية.

– استطاعت الكتابات المنشغلة بإعادة قراءة التراث اللغوي العربي أن تزاحم الكتابات اللسانية التي تبنت النماذج اللسانية الغربية، وذلك عندما نزعت نحو تأسيس نظرية لسانية عربية تقف إزاء النظريات اللسانية الغربية، وأبرز أعلام هذا الاتجاه "عبد الرحمن الحاج صالح"، الذي تميز عن غيره باستنباطه لأصول ومفاهيم النظرية اللغوية العربية القديمة وإعادة بنائها في إطار نظري حديث، تمثل في النظرية الخليلية الحديثة التي تضاهي النظريات الحديثة، سواء من حيث البناء النظري أو الفاعلية.

**الهوامش:**

**1-** ينظر مثلا:

– منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، ص 32 وما بعدها.

– عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ضمن أعمال ملتقى تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1 1991، ص 389–392.

– بشير إبرير، الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة، ص 32 وما بعدها.

**2-** ينظر أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص 15.

**3-** ينظر مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 91.

**4-** رغم الجهود التي تبذلها بعض المنظمات التي تنهض بالترجمة سواء على مستوى القطر الواحد نحو: مشروع "كلمة" لهيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أو على مستوى الوطن العربي: نحو مشروع المنظمة العربية للترجمة الذي يسعى إلى تحقيق طفرة نوعية وكمية في نشاط الترجمة في العالم العربي.

**5-** ينظر فاطمة البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 30.

**6-** يمكن أن نتحدث عن مرحلتين مرت بهما اللسانيات العربية. المرحلة الأولى تبدأ بعودة إبراهيم أنيس إلى غاية نهاية السبعينيات من القرن الماضي، وهي أحادية التوجه، سادت فيها أفكار المدرسة الأوروبية، ويمكن نعتها بالمرحلة الوصفية بامتياز (هذا لا يعني توقفها التام بل بقيت مستمرة بعد هذه الفترة ولكن ليس بالحدة نفسها). أما المرحلة الثانية، فتبدأ من ثمانينيات القرن الماضي إلى يومنا هذا، وهي المرحلة التي شهد فيها الفكر العربي انفتاحا على مختلف الأنظار، وتحديدا انفتاحها على المدرسة الأمريكية، كما عرفت تطورا على صعيد الترجمة والتأليف والتطبيق مقارنة بالمرحلة الأولى. على هذا الأساس نتحدث عن الكتابات التي ظهرت في المرحلة الأولى والتي ظهرت في المرحلة الثانية.

**7-** ترجم الكتاب خمس مرات إلى اللغة العربية وبخمسة عناوين مختلفة. ينظر عمر لحسن، اللسانيات والترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد 11، 2005، ص 40. وهذا يبين أن الترجمة إلى اللغة العربية مشوبة بالمغامرة لافتقارها إلى أسس موضوعية تستند إليها، ومرهونة بالمزاج والصدفة أو تركيبة الآخرين.

**8-** عبد السلام شقروش، النظرية التوليدية التحويلية وأثرها في البحث اللساني العربي، ص 148.

**9-** في وضع كهذا تصبح الترجمة بوصفها نقلا للأفكار والمعاني والمعارف والعلوم المختلفة الجسر اللاحم بين منتج المعرفة ومتلقيها.

**10-** جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس 1981، ص 6. (الكلام مجتزأ من تقديم صالح القرمادي لترجمة هذا الكتاب).

**11-** عبد الرزاق دراوي، مدخل إلى النحو التفريعي، ص 30.

**12-** ويمكننا أن نذكّر هنا بحركة الترجمة في العصر العباسي التي عرفت تطورا كبيرا وبلغت ذروتها في عهد الخليفة هارون الرشيد الذي تأسست في عهده أول مؤسسة علمية كبرى تعنى بالترجمة وهي "دار الحكمة". وقد سار المأمون في هذا المجال على خطى أبيه حتى نكاد نلمح تشابكا وتزامنا بين الأعمال الترجمية، وتمثل هذه الأعمال الذي وصل ذروته، فنقل العرب من مترجمين إلى مبدعين ومنتجين للمعرفة.

**13-** مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 179.

**14-** ينظر عيد بلبع، القطيعة المعرفية وسلطة الجذور، ص 26.

**15-** عبد السلام شقروش: النظرية التوليدية التحويلية وأثرها في البحث اللساني العربي، ص 172.

*– ويعد عبد الرحمن أيوب من أوائل اللسانيين العرب الذين طرقوا هذا الباب باعتماد الرؤية اللسانية الغربية الحديثة (وتحديدا المدرسة التحليلية التشكيلية).

**16-** عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص و.

**17-** المرجع نفسه، ص د.

– كما هو واضح من عنوان كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية".

**18-** تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 01.

**19-** المرجع نفسه، ص 03.

**20-** ريمون طحان، الألسنية العربية، 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981، ص 11–12.

**21-** م.ن، ص 12.

**22-** أنيس فريحة، نظريات في اللغة الألسنية 3، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1981، ص 83.

**23-** م. ن، ص 84.

**24-** حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص 225.

*– يقصد بها النقود التي وجهها الوصفيون الغربيون للنحو التقليدي في أوروبا.

**25-** عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، ص .48

**26-** سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات، ص 30.

**27-** عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 24.

**28-** وهناك كتابات أخرى نحو:

– كتاب جورج مونان

–Histoire de linguistique des origines au XX$^{ème}$ siècle, PUF Paris 1967.

– كتاب كريستيفا

–Le langage cet inconnu, ed du Seuil, Paris 1969.

– كتاب روبنز

–A short history of linguistics, Longman, London 1967.

**29-** حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التراث اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 2.

**30-** عبد السلام شقروش، النظرية التوليدية التحويلية وأثرها في البحث اللساني العربي، ص 177.

**31-** المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

**32-** ينظر عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1. ص 208.

**33-** محمد صاري، محاولات تيسير النحو قديما وحديثا: دراسة تقويمية في ضوء علم تدريس اللغات، رسالة دكتوراه دولة (مخطوط)، قسم، ص 138.

**34-** عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج1، ص 169.

**35-** ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص 44.

**36-** مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية ص 223.

**37-** المرجع نفسه، ص 245.

**38-** المرجع نفسه، ص 276.

**39-** يقسم النحو الوظيفي الوظائف التداولية إلى وظائف داخلية وأخرى خارجية. فالوظيفتان الخارجيتان هما: المبتدأ والذيل، والداخليتان هما: البؤرة والمحور. ينظر أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية.

**40-** مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص271.

**41-** ينظر حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، دراسة في الفكر اللغوي الحديث، ص 166.

**42-** عبد السلام شقروش، المرجع السابق 175.

**43-** نحو محاولات إبراهيم أنيس في كتاباته: " الأصوات اللغوية " " في اللهجات العربية " " دلالة الألفاظ ".

**44-** مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 186.

**45-** المرجع نفسه، ص 186/ 187.

**46-** ينظر محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة، ص 76، وينظر مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية ص 201، وينظر حافيظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص 261، وينظر عبد السلام شقروش، النظرية التوليدية التحويلية وأثرها في البحث اللساني العربي، ص 189.

**47-** نيومايير، السياسة وعلم اللغة، ترجمة عبد الله هادي قحطاني ومحمد عبد الرحمن البطل، ص 105.

**48-** يذكر أحد الباحثين أنه عثر سنة 1966 على مقال بالإنجليزية، فترجمه إلى العربية بـ "المنهج الوصفي يتوارى بالحجاب " وذلك بعد عشر سنوات من صدور مؤلف تشومسكي "البنى التركيبية"، فيقول "... فذهبت مسرعا إلى بعض أساتذتي أعرض عليه المقال، وقد كان للوصفية عندي آنذاك قداسة العقيدة العلمية، فهوّن علي الأمر، وثبتني على ما كنت عليه، فما قرأته – في رأيه – ليس إلا فقاعات وصراعات تظهر من حين إلى حين ". سعد مصلوح، في اللسانيات العربية العربية، دراسات ومثاقفات، ص 23/22.

**49-** حافيظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية، ص 263.

**50-** عبد السلام شقروش، النظرية التوليدية التحويلية وأثرها في البحث اللساني العربي، ص 180.

**51-** المرجع نفسه، ص 215.

**52-** المستوى الصوتي خصه إدريس السغروشني بكتاب:" مدخل إلى الصواتة التوليدية " سنة 1987.

- والمستوى الصرفي عالجه الفهري في كتاب المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي سنة 1998.
- والمستوى المعجمي عالجه الفهري أيضا في كتابه المعجمة والتوسيط والمعجم العربي.

– المستوى التركيبي نال الحظ الأوفر من التطبيق، فكل الدراسات العربية قد تناولته، إما بتخصيص دراسة مستقلة مثل " الجملة البسيطة " لميشال زكريا، أو "جملة الشرط" لمازن الوعر، أو بتناول قضاياه المختلفة، كما وردت في مختلف الدراسات بدءا من دراسات دواد عبده. ينظر عبد السلام شقروش، النظرية التوليدية التحويلية وأثرها في الدرس اللساني العربي.

**53-** عبد السلام شقروش، المرجع السابق، ص 216.

**54-** مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 223.

**55-** خصه المتوكل بكتاب" الخطاب وخصائص العربية " الذي أخرج فيه النحو الوظيفي من حيز الجملة إلى حيز الخطاب.

**56-** وهو رائد النحو الوظيفي في الوطن العربي، يعود إليه فضل نقل هذا النموذج إلى الثقافة العربية، وله أبحاث عديدة في هذا المجال نذكر منها:

- الوظائف التداولية في اللغة العربية، الدار البيضاء، 1985.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء 1986.
- من البنية الجملية إلى الجملة المكونية، الوظيفة المفعولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1987.
- في قضايا الرابط في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، 1987.

- قضايا معجمية، المحمولات الفعلية المشتقة في اللغة العربية، اتحاد الناشرين المغاربة، الرباط 1988.
- الجملة المركبة في اللغة العربية منشورات عكاظ، الرباط 1988.

وهو مستمر في النشر إلى يومنا هذا من بين آخر إصداراته: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفية والبنية والنمط، منشورات الاختلاف، الجزائر 2008، إضافة إلى عديد المقالات المنشورة والمداخلات باللغات الثلاث عربية وفرنسية وانجليزية. ينظر: يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، مخطوط رسالة دكتوراه دولة، 2006/2005، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة (الجزائر)، مخطوط.

**57-** ينظر:الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف الجزائر والدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1 2010، ص 12.

**58-** عبد السلام شقروش، المرجع السابق، ص 178.

**59-** كما في كتابه الوظائف التداولية للغة العربية.

**60-** فقد أعلن المتوكل مثلا أنه يتخذ من نظرية النحو الوظيفي إطارا عاما لأبحاثه. انظر على سبيل المثال قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ج1، ص 19.

**61-** نحو كتابات المتوكل الذي مثلت أعماله مشروعا متكاملا في النحو الوظيفي العربي، ويمكن أن نمثل لذلك بسلسلة كتبه قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، حيث نجده في جزئه الأول يشرح قضايا جديدة بالنظر إلى ما تناوله في أعماله السابقة، فهي إما إشكالات لم يتطرق إليها البتة أو عالجها دون أن يوفيها حقها من المعالجة، أو تناولها من منظور نموذج النحو الوظيفي الأول. وبقي عليه أن يعيد النظر فيها ليبين كيفية تناولها في إطار النموذج الحالي، ينظر ص 9. بينما خرج في جزئه الثالث بالنحو الوظيفي من حيز الجملة إلى حيز الخطاب.

**62-** انظر: كتابه اللسانيات واللغة العربية وكتاب البناء الموازي.

**63-** من ذلك كتاب عبد الصبور شاهين "في علم اللغة العام " الذي طبع عديد المرات دون تعديل محتواه، بل ونجد كتابا ظهر عشية القرن الواحد والعشرين (صدر سنة 1998) وأعيد طبعه في مطلع هذا القرن (سنة 2000) وهو كتاب "في علم اللغة" لغازي طليمات، يتناول المواضيع نفسها، والطريف في الأمر أن أحد رواد اللسانيات في الوطن العربي "محمود السعران" أشار في كتابه "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي". وفي أكثر من موضع إلى أن اللسانيين المحدثين قد تخلوا عن البحث في هذه الموضوعات تحديدا (نشأة اللغة، الصراع اللغوي، الفصائل اللغوية)، لأنها لا تتفق مع طبيعة العلم التي اتسمت بها الدراسات اللغوية. انظر ص ص 11، 49، 348 و349 من الكتاب المذكور.

**64-** ينظر: مصطفى غلفان، المرجع السابق ص 180.

**65-** تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 50.

**66-** ينظر: من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، ودراسات نقدية في النحو العربي لعبد الرحمن أيوب ، وفي فقه اللغة العربية وخصائصها لإيميل يعقوب، وكتابات تمام حسان مناهج البحث اللغوي واللغة العربية بين المعيارية والوصفية.

**67-** ينظر: أحمد محمود نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص 6.

**المراجع:**

**1-** أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر دمشق، ط 1، 2001.

**2-** أحمد محمود نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية بيروت 1988.

**3-** بشير إبرير، الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة، أعمال الملتقى الوطني الأول التراث والحداثة في اللغة والأدب، البليدة أيام 07–09 نوفمبر، 1999.

**4-** أنيس فريحة، نظريات في اللغة الألسنية 3، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1981.

**5-** تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1958.

**6-** جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس 1981، ص 6. (الكلام مجتزأ من تقديم صالح القرمادي لترجمة هذا الكتاب).

**7-** حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009.

**8-** حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التراث اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994.

**9-** حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، دراسة في الفكر اللغوي الحديث، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995.

**10-** الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف الجزائر والدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010.

**11-** ريمون طحان، الألسنية العربية، 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981.

**12-** سعد مصلوح، في اللسانيات العربية، دراسات ومثاقفات، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004.

**13-** عبد الرحمن أيوب دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1957.

**14-** عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ضمن أعمال ملتقى تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.

**15-** عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007.

**16-** عبد الرزاق دراوى، مدخل إلى النحو التفريعي، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2007.

**17-** عبد السلام شقروش: النظرية التوليدية التحويلية وأثرها في البحث اللساني العربي، مخطوط رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، 2013.

**18-** عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس 1981.

**19-** عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ط1، 1998.

**20-** عمر لحسن، اللسانيات والترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد 11، سنة 2005.

**21-** عيد بلبع، القطيعة المعرفية وسلطة الجذور، بلنسية للنشر والتوزيع مصر، ط1، 2009.

**22-** فاطمة البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004.

**23-** محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

**24-** محمد صاري، محاولات تيسير النحو قديما وحديثا: دراسة تقويمية في ضوء علم تدريس اللغات، رسالة دكتوراه دولة (مخطوط)، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، 2003.

**25-** محمود السعران، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر، القاهرة 1962.

**26-** مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 4.

**27-** منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1991.

**28-** نيومايز، السياسة وعلم اللغة، ترجمة عبد الله هادي قحطاني ومحمد عبد الرحمن البطل، مطبوعات نادي أبها الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1996.

**29-** يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، مخطوط رسالة دكتوراه دولة. 2006/2005، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة (الجزائر) ، مخطوط.